العتبات المقدسة في العراق ودورها في الحفاظ على تراث الأئمة (عليهم السلام) وتأثيرها على الهوية العراقية

م.م. مريم كاطع عطية
كلية التربية – جامعة القادسية

الكلمات المفتاحية: العتبات المقدسة، الهوية العراقية، التراث

الملخص:

تُعدُّ العتبات المقدسة في العراق من أبرز المعالم الدينية والثقافية التي تحظى بمكانة خاصة في وجدان المسلمين، ولا سيما أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ تحتضن هذه العتبات مراقد الأئمة الأطهار، كمرقد الإمام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف، ومرقدي الإمامين الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) في كربلاء المقدسة، ومرقد الإمام الكاظم (عليه السلام) في بغداد، ومرقد الإمام العسكري (عليه السلام) في سامراء، وتلعب هذه العتبات دورًا محوريًا في الحفاظ على التراث الإسلامي وتراث الأئمة (عليهم السلام) من خلال العناية بالمخطوطات النادرة، والمكتبات الغنية بالمصادر التراثية، ومراكز البحث والدراسات التي تسهم في نشر الفكر الإسلامي الأصيل، كما أن عمليات الترميم المستمرة، وتوثيق المخطوطات، وإقامة المتاحف داخل العتبات، تُعدّ جزءًا من الجهود الحثيثة للحفاظ على هذا الإرث القيم وضمان استمراريته للأجيال القادمة، إضافةً إلى ذلك تؤثر هذه العتبات بعمق في تشكيل الهوية العراقية، إذ تمثل رمزًا للوحدة الدينية والوطنية، وتُسهم في تعزيز الروابط الاجتماعية والثقافية بين مختلف شرائح المجتمع، كما تعدّ محطات رئيسية في استقطاب الزوار من مختلف دول العالم، ما ينعكس إيجابًا على الجانب الاقتصادي من خلال السياحة الدينية، فضلًا عن الأثر الروحي الذي تتركه هذه الأماكن في نفوس المؤمنين، علاوة على ذلك فإن المناسبات الدينية الكبرى تسهم في ترسيخ الهوية الجماعية وتعزيز قيم التضامن والتكافل الاجتماعي، إذ يجتمع الملايين لإحياء ذكرى الأئمة (عليهم السلام)، مما يعكس تجذر القيم الدينية في النسيج الاجتماعي العراقي، وبالتالي فالعتبات المقدسة ليست مجرد مراقد دينية، بل هي مراكز إشعاع حضاري تحفظ الهوية، وتصون التراث، وتجمع العراقيين تحت راية مشتركة من الإيمان والتاريخ العريق.

المقدمة:

تعد العتبات المقدسة في العراق من أهم المعالم الدينية والثقافية التي تحظى بمكانة رفيعة لدى المسلمين، وبشكل خاص أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام). إذ تحتضن هذه العتبات مراقد الأئمة الأطهار، مثل الإمام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف، والإمام الحسين وأخيه العباس (عليهما السلام) في كربلاء، والإمامين الكاظمين (عليهما السلام) في بغداد، والإمامين العسكريين (عليهما السلام) في سامراء. وتمثل هذه الأماكن مراكز روحية وعلمية وتراثية تمتد تأثيراتها إلى مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية في العراق وخارجه، تلعب العتبات المقدسة دورًا جوهريًا في حفظ تراث الأئمة (عليهم السلام) من خلال المحافظة على المخطوطات التاريخية، وتوثيق الروايات والسير الخاصة بهم، إلى جانب دعم الأنشطة العلمية والثقافية التي تساهم في نشر فكرهم وتعاليمهم. وتُعدّ مكتبات العتبات ومراكزها البحثية من أهم المؤسسات التي تُعنى بجمع هذا التراث، وتنظيمه، وتقديمه للأجيال القادمة بصورة أكاديمية وعلمية. بالإضافة إلى ذلك، تشهد هذه العتبات عمليات ترميم مستمرة للحفاظ على الآثار الإسلامية، إلى جانب إنشاء متاحف متخصصة تضم مقتنيات نفيسة تعكس حقبًا مختلفة من التاريخ الإسلامي، إلى جانب دورها التراثي، تؤثر العتبات المقدسة تأثيرًا عميقًا في الهوية العراقية، حيث تمثل رمزًا للانتماء الديني والثقافي، وتعزز الوحدة الوطنية بين مختلف فئات المجتمع، وتبرز أهمية هذه العتبات في المناسبات الدينية الكبرى، مثل زيارة الأربعين، التي تُعدّ من أضخم التجمعات البشرية في العالم، حيث يتوافد الملايين من داخل العراق وخارجه للمشاركة في إحياء هذه الشعائر، ما يعكس ترابطًا اجتماعيًا وثقافيًا عابرًا للحدود، كما أن السياحة الدينية التي تتمحور حول هذه العتبات تسهم في تعزيز الاقتصاد العراقي، وتوفر فرص عمل للآلاف من المواطنين، مما يضاعف أهميتها على المستويين المحلي والدولي، وبالنظر إلى المتغيرات السياسية والثقافية التي شهدها العراق عبر العصور، تبقى العتبات المقدسة عنصرًا ثابتًا في حفظ التراث الإسلامي وتعزيز القيم الروحية والاجتماعية. فهي ليست مجرد أماكن للزيارة والعبادة، بل هي مؤسسات ثقافية وعلمية تمتلك تأثيرًا واسعًا في تشكيل الوعي الديني والوطني. ومن هنا، تتجلى أهمية دراسة دور هذه العتبات في الحفاظ على التراث وتعزيز الهوية العراقية، خاصةً في ظل التحديات المعاصرة التي تواجهها البلاد.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من الدور البارز الذي تؤديه العتبات المقدسة في العراق في الحفاظ على التراث الإسلامي وتراث الأئمة (عليهم السلام)، وتأثيرها العميق في تشكيل الهوية العراقية، إذ تمثل هذه العتبات مراكز دينية وثقافية تحتضن تراثًا غنيًا يتمثل في المخطوطات النادرة، والمؤلفات التراثية، والممارسات الدينية التي تجسد الهوية الروحية والاجتماعية للمجتمع العراقي، كما أن دراسة هذا الموضوع تكتسب أهمية خاصة في ظل التحديات المعاصرة التي تهدد التراث الإسلامي، مثل العولمة والتغيرات الاجتماعية والسياسية التي يشهدها العراق والمنطقة.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على دور العتبات المقدسة في العراق في حفظ تراث الأئمة (عليهم السلام)، وإبراز مساهمتها في تعزيز الهوية العراقية من خلال الأنشطة الثقافية والعلمية والدينية التي تقوم بها، كما يسعى البحث إلى تحليل تأثير هذه العتبات في المجتمع العراقي ومدى مساهمتها في الحفاظ على القيم الدينية والثقافية.

مشكلة البحث:

على الرغم من الدور المحوري الذي تلعبه العتبات المقدسة في العراق، إلا أن هناك تحديات تواجه عملية حفظ التراث الديني والثقافي، كالتغيرات السياسية، وضعف التوثيق، والتأثيرات الخارجية على الهوية العراقية، ومن هنا تنبع مشكلة البحث في التساؤل عن مدى قدرة العتبات المقدسة على حماية التراث الإسلامي والحفاظ على الهوية العراقية في ظل هذه التحديات.

السؤال الرئيسي:

كيف تسهم العتبات المقدسة في العراق في الحفاظ على تراث الأئمة (عليهم السلام) وتعزيز الهوية العراقية؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما هي أبرز الجهود التي تبذلها العتبات المقدسة في توثيق وحفظ تراث الأئمة (عليهم السلام)؟
2. ما هو الدور الثقافي والتعليمي الذي تؤديه هذه العتبات في نشر الوعي الديني والفكري؟
3. كيف تؤثر العتبات المقدسة في تعزيز الهوية العراقية وترسيخ الانتماء الديني والاجتماعي؟
4. ما هي التحديات التي تواجه العتبات المقدسة في مساعيها لحفظ التراث الإسلامي؟
5. كيف تساهم السياحة الدينية المرتبطة بهذه العتبات في التأثير الاقتصادي والاجتماعي على العراق؟

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم جمع المعلومات من المصادر التاريخية والميدانية وتحليلها لفهم دور العتبات المقدسة في الحفاظ على التراث الإسلامي وتعزيز الهوية العراقية. كما سيتم الاستفادة من الدراسات السابقة، والتقارير الصادرة عن المؤسسات الثقافية والدينية، بالإضافة إلى إجراء مقابلات مع المختصين في هذا المجال لاستكشاف التحديات والفرص التي تواجه العتبات المقدسة في أداء دورها الثقافي والديني والاجتماعي.

المبحث الأول: دور العتبات المقدسة في حفظ التراث الإسلامي وتراث الأئمة (عليهم السلام)

تمثل العتبات المقدسة مراكز رئيسية لحفظ التراث الإسلامي، إذ تحتضن مكتبات ضخمة تحتوي على مخطوطات ومؤلفات دينية وتاريخية نادرة، فمنذ العصور الإسلامية الأولى كانت هذه العتبات حواضن للعلم والمعرفة، حيث دأب العلماء على تدوين الروايات والأحاديث ونقل العلوم الإسلامية بمختلف تخصصاتها، إذ هب العلماء في العصر العباسي إلى تهذيب ما كتب في الصحف وتدوين ما حفظ في الصدور، ورتبوه وبوبوه وصنفوه كتبا، وكان من أقوى الأسباب في إقبال العلماء على التصنيف في هذا العصر حث الخلفاء وحملهم الأئمة الفقهاء على جمع الحديث، والفقه(أبو رية، 1996: 264)، ومن أشهر المكتبات التابعة للعتبات المقدسة، مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف، والتي تضم آلاف المخطوطات القيمة في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ، وتقع تحديداً ضمن صحن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتمتد جذور تاريخ هذه المكتبة إلى مئات السنين، وقد أعيد افتتاحها في عام 2005 بعد سقوط نظام البعث في العراق، وتضم المكتبة مجموعات ضخمة من الكتب التي تغطي مختلف فروع العلم والمعرفة، حيث يقدر عدد مؤلفاتها بأكثر من مائة ألف كتاب، كما تحتوي المكتبة على مخطوطات نادرة وعتيقة تُعدّ من أبرز الكنوز الثقافية في المنطقة (السيستاني، 2008م: 36)، بالإضافة إلى مكتبة العتبة الحسينية في كربلاء التي تحتوي على ذخائر علمية نادرة، ومكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة وهي مكتبة كبيرة في النجف الأشرف أسسها الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي وتضم المكتبة مخطوطات نادرة من بينها الرسالة التي بعث بها النبي محمد ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط والذ يعرف بالبطرك كيرس (سيروس) زعيم الأقباط في عهد النبي الحاكم البيزنطي من قبل هرقل على مصر، كما تحوي المكتبة على مصحف شريف بخط الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مكتوب على جلد غزال بالخط الكوفي (الكردي، 2020م :144)، وفيها أيضاً مخطوطات لعدد من علماء المسلمين وفيها مجموعة قيمة وفريدة من مصادر علوم

القرآن والحديث والفقه والقانون ومن بينها مجموعة من المصاحف نسخ أحدها على ورق صنع من جلد ثعبان طوله 5،5متر وعرضه ثمانية سنتميترات ومزين بالذهب ومصحف آخر كتبت آياته على شكل طيور ويبلغ طوله 6،14 متر وعرضه عشرة سنتيمترات، وبلغت عدد كتب المكتبة في القرن الرابع عشر الهجري نحو أربعين ألف كتاب ومخطوط ومستنسخ، وفي الوقت الحاضر فإن المكتبة تضم أكثر من مائة وخمسين ألف كتاب (الكرباسي، 2017م :10-11)، ولا تقتصر أهمية هذه المكتبات على حفظ الكتب فحسب، بل تشمل أيضاً تحقيقها ونشرها ليستفيد منها الباحثون وطلاب العلم.

تعمل العتبات المقدسة على توثيق تراث الأئمة (عليهم السلام) من خلال البحث العلمي، والنشر، وترميم الآثار والمخطوطات القديمة، حيث أن تراث أهل البيت (عليهم السلام) يعد من الكنوز الدينية التي حفظت للأمة الإسلامية منهجها الأصيل. فقد ورد عن عبد السلام الهروي، عن الرضا (عليه السلام) قال: "رحم الله عبدا أحيى أمرنا، قلت: كيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا" (العاملي، 1414هـ : 92) مما يدل على أهمية توثيق ونشر تراثهم ليبقى نبراسًا للأجيال القادمة، وقد قامت العتبة العباسية المقدسة بمشاريع ضخمة في مجال تحقيق المخطوطات وإعادة طباعة الكتب القديمة، ومن تلك المشاريع، مشروع مركز تراث كربلاء: تأسس مركز تراث كربلاء في عام 2013 بدعم كبير من الأمانة العامة للعتبة العباسية، وحقق إنجازات ملموسة في مجالات التحقيق والتأليف، وأسهم في نشر الثقافة التراثية وتعزيز الوعي التاريخي في المدينة من خلال المؤتمرات والندوات والإصدارات الدورية، ويهدف المركز إلى الحفاظ على تراث كربلاء، وتوثيق مآثر شخصياتها، وتوفير مرجع معلوماتي للباحثين والمهتمين، كما يعمل على إبراز عمق تاريخ المدينة عبر جمع الوثائق والصور والآثار الفكرية، وتكمن أهمية المركز في كونه محورًا لحفظ وترسيخ الهوية الثقافية والحضارية لكربلاء على مر الأجيال، إذ تمثل المدينة مركزًا دينيًا وفكريًا بارزًا في تاريخ الأمة الإسلامية، ويتكون المركز من عدة وحدات هي: الإدارة التي تنظم جميع الأنشطة، ووحدة التحقيق التي تعمل على نشر المؤلفات القديمة المحققة، ووحدة فهرسة المخطوطات التي تسهم في جمع وتوثيق المخطوطات التاريخية، ووحدة الدراسات التي تصدر كتبًا ودراسات تراثية، ووحدة الإعلام التي تعمل على نشر إنجازات المركز عبر مختلف الوسائل الإعلامية والموقع الإلكتروني، أضافة إلى "مركز تراث البصرة" و"مركز تراث الحلة"، حيث تسهم هذه المراكز في الحفاظ على الموروث الثقافي والمعرفي ونشره بين الباحثين(الكرباسي، 2017م : 75).

إلى جانب ذلك، تُقام المؤتمرات والندوات التي تسهم في نشر الفكر الإسلامي الأصيل، حيث تعقد العتبات المقدسة سنويًا ملتقيات فكرية ودينية يجتمع فيها كبار العلماء والمفكرين لمناقشة القضايا المعاصرة والتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك "مؤتمر ربيع الشهادة الثقافي العالمي" الذي تنظمه العتبتان الحسينية والعباسية في كربلاء، والذي يستضيف شخصيات علمية وأكاديمية من مختلف دول العالم، كما تنظم العتبة العلوية في النجف الأشرف منتديات فكرية تهدف إلى تعزيز البحث العلمي في الفقه والأصول والتفسير والفكر الإسلامي، هذه الجهود تعكس الدور الريادي الذي تلعبه العتبات المقدسة في نشر الفكر الأصيل ومواجهة التيارات الفكرية الهدامة التي تحاول طمس الهوية الإسلامية، وتجدر الإشارة إلى أن العتبة العلوية أو المرقد الديني قد جُدد عدة مرات وفي مراحل مختلفة، ولاحقاً أُعيد تذهيب القبة التي تعلوه وأضيف صحن جديد بإسم صحن فاطمة الزهراء عليها السلام، ومما قيل من أشعار في تاريخ تذهيب قبة أمير المؤمنين عليه السلام سنة 1155:

إذا ضامك الدهر يوما وجارا فلذ بحمى امنع الخلق جارا
علي العلي وصنو النبي وغيث الورى وغوث الحيارى
تبدي سناها عيانا فارخت آنست من جانب الطور نارا (الأمين،1983م: 215)

فضلاً عن ذلك، تبذل العتبات المقدسة جهودًا حثيثة لإنشاء المتاحف التي تعرض المقتنيات التاريخية، مما يسهم في حفظ الهوية الدينية والثقافية للمجتمع الإسلامي، فقد أنشأت العتبة الحسينية المقدسة "متحف الإمام الحسين (عليه السلام)" الذي يضم سيوفًا وأسلحة قديمة، ومخطوطات، ورايات تاريخية تعود إلى فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي، إضافة إلى مقتنيات تخص الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وتجدر الإشارة إلى أنه في سنة 914 لما فتح إسماعيل الصفوي بغداد ذهب إلى زيارة مشهد الإمام الحسين عليه السلام وأمر بتذهيب حواشي الضريح، وأهدى اثني عشر قنديلا من الذهب، وهذا أول إدخال الذهب على العمارة المقدسة (الشاهرودي، 1418هـ : 477)، كما تم التذهيب في سنة 1229هـ(خالد، 2017م : 144) كما تضم العتبة العباسية منتديات تعريفية تهدف لتعزيز الهوية العراقية مثل منتدى الكفيل وهو نافذة كهربائية من نوافذ شبكة الكفيل العالمية التابعة للعتبة المقدسة فقد تأسس من قبل شعبة الانترنت في قسم الشؤون الفكرية والثقافية التابع للعتبة العباسية في 2009/6/1م وتضم صفحات المنتدى الأقسام التالية: القرآن وعلومه، العقائد، المستبصرون، المناسبات

الإسلامية، ساحة أهل البيت عليهم السلام وتضم فضائل وسيرة أهل البيت، ولاية أهل البيت، روايات ومواعظ أهل البيت الإمام الحسين، شرح الأدعية والزيارات(الكرباسي، 2017م : 38).

لم تقتصر جهود العتبات المقدسة على الجانب العلمي والثقافي، بل امتدت إلى ترميم وصيانة المواقع الأثرية التي ترتبط بتاريخ أهل البيت (عليهم السلام)، فقد قامت العتبة العلوية بترميم العديد من الأجزاء التاريخية في مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) للحفاظ على معالمه الأثرية، وفي كربلاء، شهدت العتبة الحسينية توسعات كبيرة تضمنت إعادة ترميم بعض الأروقة التاريخية وإنشاء صحن العقيلة زينب (عليها السلام) لاستيعاب أعداد الزوار المتزايدة، إن الحفاظ على تراث الأئمة (عليهم السلام) يعد مسؤولية كبيرة، ومن هنا يتجلى دور العتبات المقدسة في نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) عبر الإذاعات والفضائيات والمواقع الإلكترونية. فقد أنشأت العتبة الحسينية قناة كربلاء الفضائية، التي تُعنى بنقل المعارف الإسلامية، وكذلك العتبة العباسية التي أسست شبكة الكفيل العالمية لنشر الكتب والمقالات والمحتويات العلمية إلكترونيًا. كما تقوم العتبة العلوية بإدارة مواقع إلكترونية ومجلات علمية تهدف إلى نشر البحوث الشرعية والفكرية (الكرباسي، 2017م : 40).

ومن الشواهد التاريخية على دور العتبات المقدسة في حفظ التراث الإسلامي، أن النجف الأشرف كانت على مر العصور مركزًا علميًا استقطب كبار العلماء، ومنهم الشيخ الطوسي الذي أسس الحوزة العلمية في القرن الخامس الهجري، والتي تولى إدارة خزانتها العديد من العلماء والفقهاء ومنهم الفقيه الصالح محمد بن أحمد بن شهريار، الذي كان خازنا للروضة الحيدرية والمكتبة الغروية، وهو أحد تلاميذ الشيخ الطوسي (البحراني، 1415هـ : 133)، وما تزال المكتبة حتى اليوم منبراً لنشر علوم الإسلام، وقد تخرج منها كبار المراجع والعلماء الذين أثروا المكتبة الإسلامية بآلاف المؤلفات في مختلف العلوم الشرعية والعقلية، كالسيد ريحان الموسوي البروجردي، والشيخ زين العابدين المازندراني الحائري وغيرهم الكثير (الأمين،1983م : 443)،فقد انتقل النشاط العلمي إلى النجف الأشرف في أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع بسبب انتقال عدد لا بأس من علماء كربلاء الأجلاء آنذاك إلى مدينة النجف حيث أسهموا بدورهم في بعث وتنشيط الحركة العلمية بها، الأمر الذي خلق لها مركزية علمية تبزّ مكانة كربلاء العلمية(الشاهرودي، 1990م : 43)؛ (الكرباسي، 2017م : 75).

ولا يمكن إغفال التأثير الأدبي للعتبات المقدسة، فقد شكلت مصدر إلهام للشعراء والأدباء عبر العصور، حيث كتب الشاعر السيد حيدر الحلي عن الإمام الحسين (عليه السلام):

وَلَا مِثْلَ يَوْمِ الطُّفِّ لَوْعَةً وَاجِدٍ وَحَرْقَةً حَرَّانٍ وَحَسْرَةً مَكْمَدِ
تَبَارَحَ أَعْطَيْنَ القُلُوبَ وَجِيبَهَا وَقُلْنَ لَهَا قُومِي مِنَ الوَجْدِ وَاقْعُدِي
غَدَاةَ ابْنِ بِنْتِ الوَحْيِ خَرَّ لِوَجْهِهِ صَرِيعًا عَلَى حَرِّ الثَّرَى المُتَوَقِّدِ
دَارَتْ آلُ حَرْبٍ أَنَّهَا يَوْمَ قَتْلِهِ أَرَاقَتْ دَمَ الإِسْلَامِ فِي سَيْفِ مُلْحِدِ (الحلي، 2017م :31)

وكذلك ما أورده الشاعر صفي الدين الحلي في مدح الإمام علي عليه السلام إذ يقول:

جلّ معناكَ أن يحيطَ بهِ الشّعرُ وتحضي صفاتهُ النقّادُ
إنّما اللّهُ عنكمُ أذهبَ الرّجسَ فردّت بغيظها الاحتدادُ
ذاك مدحُ الإلهُ فيكم، فإن فهتُ بمدحٍ، فذاكَ قولٌ معادُ (الحلي، 2000م: 89)

ويتعكس الأبيات الشعرية السابقة مدى ارتباط العتبات المقدسة بتاريخ التضحية والفداء الذي جسده الأئمة (عليهم السلام)، مما جعلها رموزًا خالدة تحفظ هوية الأمة الإسلامية.

وبالتالي فقد شكلت العتبات المقدسة صروحاً ثقافية وحضارية تعمل على توثيق ونشر تراث الأئمة (عليهم السلام) بأساليب علمية حديثة، من خلال دعم البحث العلمي، وإنشاء المكتبات، وترميم الآثار، وعقد المؤتمرات، وإنشاء المتاحف، والاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة فمن خلال هذه الجهود، تسهم العتبات المقدسة في ترسيخ الهوية الإسلامية، وتوعية الأجيال القادمة بأهمية التراث الإسلامي، مما يجعلها منارات علمية ودينية خالدة تتحدى الزمن وتحفظ للإسلام مجده وتاريخه العريق.

المبحث الثاني: تأثير العتبات المقدسة على الهوية العر اقية

تلعب العتبات المقدسة دورًا جوهريًا في تشكيل الهوية العراقية، إذ تُعدّ رمزًا للانتماء الديني والثقافي. ويبرز هذا التأثير في المناسبات الدينية الكبرى، مثل زيارة الأربعين، التي تجمع ملايين الزائرين وتعكس عمق الترابط الاجتماعي بين العراقيين. إنّ هذا الحشد المليوني الذي يسير صوب كربلاء يحمل في طياته دلالات عميقة على تلاحم أبناء الشعب، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الاجتماعية، حيث تنصهر الفوارق أمام قدسية الإمام الحسين (عليه السلام) ورسالته الإنسانية. وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى زيارة الحسين بقوله: "من أتى الحسين بن علي عليهما السلام زائراً عارفاً بحقه غير مستنكف ولا مستكبر، يكتب له ألف حجة مقبولة وألف عمرة مبرورة وإن كان شقياً، كُتب سعيداً" (المجلسي، 1983م: 20)، وقال الإمام الباقر (عليه السلام): "من زار ليلة عرفة أرض كربلاء وأقام بها حتى يعيد، ثم ينصرف وقاه الله شر سنته" (الطوسي،1991م: 716)، مما يبرز العمق الروحي والتعبدي لهذه العتبات.

وتؤثر العتبات على الجوانب الاقتصادية من خلال السياحة الدينية، التي توفر فرص عمل وتعزز التنمية المحلية، إذ تستقطب مدن مثل النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية ملايين الزائرين سنويًا، (سعد، 2017م :142)ما يدفع عجلة الاقتصاد من خلال الفنادق والمطاعم والنقل والتجارة المحلية، كما أن الأوقاف الدينية المتمركزة حول هذه العتبات تسهم في مشاريع تنموية وخيرية توفر الخدمات للفقراء والمحتاجين، محققة بذلك مفهوم التكافل الاجتماعي الذي أكده الإسلام في مواضع عدة، ومنها قوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)(الإنسان: 8). ومن الشواهد التاريخية أن العتبات المقدسة في العصور المختلفة كانت محورًا للحركة الاقتصادية والاجتماعية، كما كانت خلال العصر العباسي والعثماني مركزًا للحرفيين والتجار الذين استفادوا من الحركة الدؤوبة للزائرين، فعلى سبيل المثال هاجرت العديد من الأسر البحرينية إلى العراق للدراسة وتحصيل العلوم الدينية في العتبات المقدسة أو بقصد التجارة والارتزاق كأسرة الحاج ابراهيم التي هاجرت في القرن التاسع عشر حوالي سنة 1825م واستقرت في مدينة بغداد ومارست مهنة التجارة وعرف بين الناس بالبحراني (البحراني، 2009م : 11)، وبالتالي فالعتبات المقدسة يمكن أن تسهم في رفد ميزانية الدولة العامة ومن ثم تؤدي إلى انتعاش مداخيل شرائح واسعة من المجتمع لما تحققه من نقد أجنبي يسهم في تحقيق مورد العملات الصعبة يساعد على تحقيق استقرار العملة العراقية وزيادة قيمتها وبالتالي تحسين أسعار الصرف. (حسنات، 2016م: 58)

وعلى المستوى الثقافي، تسهم هذه العتبات في نشر الفكر الإسلامي المعتدل وتعزيز قيم التسامح والتكافل الاجتماعي، حيث تخرج من جنباتها العديد من العلماء والمفكرين الذين أثروا الساحة الإسلامية، ومنهم الشيخ الطوسي الذي أسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف، (الطوسي، 1390هـ: 45)، والتي أصبحت منارة علمية امتد تأثيرها إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي.، كما أن الأضرحة المقدسة تضم مكتبات ومراكز بحثية تحوي آلاف المخطوطات التي تمثل ثروة فكرية هائلة، تسهم في نشر الوعي والمعرفة، ومن أبرز الشواهد على ذلك مكتبة الروضة الحيدرية ومكتبة الروضة الحسينية، اللتان تضمان نفائس الكتب والمخطوطات التي تعود إلى قرون عديدة.

ويظهر دور العتبات المقدسة في حفظ الهوية الوطنية في مواجهة التحديات المختلفة، حيث كانت عبر التاريخ ملجأً للعراقيين في أوقات الأزمات والمحن، كما حدث خلال الاحتلالات الأجنبية والثورات الشعبية. فعلى سبيل المثال، كانت العتبات مركزًا لمقاومة الاحتلال البريطاني عام

1920م، (دباغ، 2008م: 64) حيث أفتى المرجع الديني آنذاك بحرمة التعاون مع الاحتلال، مما دفع العشائر العراقية للثورة تحت راية العتبات المقدسة (الحلي،1428هـ :95).

ويظهر التأثير الثقافي والديني للعتبات أيضًا في المناسبات السنوية، حيث تتجسد القيم الإسلامية من خلال ممارسات الزائرين، مثل إطعام الطعام والسقاية ومساعدة المحتاجين، وهي قيم ترسّخ روح الإيثار والإنسانية في المجتمع العراقي، وقد أشار النبي محمد (صلى الله عليه وآله) إلى أهمية التراحم بين المسلمين بقوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (الهندي، 1985:149)، وتعدّ المدن المقدسة محطات أساسية في تشكيل الوجدان العراقي، حيث تحتضن هذه المدن معالم تاريخية وروحية تجعلها مصدر إلهام للزائرين والباحثين عن السكينة الروحية. فالنجف الأشرف مثلًا ليست مجرد مدينة، بل هي مرقد الإمام علي (عليه السلام) ومدرسة الفكر والعلم (التميمي،1953: 5)، حيث قال الإمام الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم فلا صلاة له منه (العاملي، 1422: 29)

وهذا الحب المتجذر يظهر في ارتباط العراقيين العميق بهذه الأماكن وكربلاء، التي شهدت ملحمة الطف، أصبحت رمزًا للثورة على الظلم ومصدر إلهام للأحرار عبر التاريخ، وهو ما يعكسه قول الإمام الحسين (عليه السلام): "إني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما" (ابن شعبة الحراني، 1404: 245)

إن العتبات المقدسة ليست مجرد مراقد، بل هي مراكز إشعاع حضاري تمتد تأثيراتها إلى جميع جوانب الحياة العراقية، فهي تشكّل الهوية الوطنية عبر تعزيز الروابط الاجتماعية، ودعم الاقتصاد، وترسيخ الثقافة الإسلامية، كما أنها ملاذ روحي وثقافي يعزز من صمود المجتمع العراقي في وجه التحديات المختلفة، مما يجعلها عنصرًا محوريًا في نسيج العراق الحضاري والتاريخي.

الخاتمة:.

في ختام هذا البحث حول العتبات المقدسة في العراق ودورها في الحفاظ على تراث الأئمة (عليهم السلام) وتأثيرها على الهوية العراقية، فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:

- مساهمة العتبات المقدسة بشكل فعال في حفظ التراث الإسلامي من خلال جمع المخطوطات التاريخية، وتوثيق التراث الإسلامي، وإقامة المتاحف والمكتبات التي تحتوي على كنوز فكرية تعكس الإرث العريق للأئمة (عليهم السلام).
- التأثير الثقافي والفكري للعتبات المقدسة إذ تلعب هذه العتبات دورًا في نشر الوعي الديني والفكري من خلال الندوات والمؤتمرات، والمؤسسات التعليمية التابعة لها، والتي تسهم في تثقيف الأجيال وتعريفهم بالتراث الإسلامي الأصيل.
- مساهمة العتبات المقدسة في ترسيخ الهوية الدينية والوطنية من خلال المناسبات الدينية الكبرى، مثل زيارة الأربعين، والتي تمثل تجمعًا اجتماعيًا وثقافيًا يعزز روح الانتماء والوحدة بين العراقيين.
- بالرغم من الجهود المبذولة تواجه هذه العتبات تحديات كبيرة، مثل العوامل السياسية والأمنية، والتغيرات الثقافية، وضرورة التكيف مع التطورات التكنولوجية لضمان استمرار دورها في حفظ التراث.
- الأثر الاقتصادي والاجتماعي للعتبات المقدسة إذ تساهم العتبات المقدسة في تنشيط الاقتصاد العراقي من خلال السياحة الدينية، التي توفر فرص عمل وتعزز النشاط التجاري، ما يجعلها عنصرًا مهمًا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- استمرارية الدور الديني والاجتماعي للعتبات المقدسة إذ تبقى العتبات المقدسة مؤسسات دينية وثقافية فاعلة، من خلال تقديم الخدمات الدينية والاجتماعية، ودعم مشاريع الإغاثة والمبادرات الإنسانية التي تخدم المجتمع العراقي.

التوصيات:

- تعزيز جهود التوثيق الرقمي لحفظ المخطوطات والمصادر التراثية.
- تطوير البنية التحتية للسياحة الدينية للاستفادة القصوى من إمكانياتها الاقتصادية.
- تكثيف الدراسات الأكاديمية حول تأثير العتبات المقدسة في الهوية العراقية.
- زيادة التعاون بين العتبات المقدسة والمؤسسات الثقافية والتعليمية لتعزيز الوعي التراثي.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم
1. ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الثانية، 1404هـ
2. أبو رية، محمود، أضواء على السنة المحمدية، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.
3. البحراني، رؤوف، مذكرات رؤوف البحراني لمحات عن وضع العراق منذ تأسيس الحكم الوطني عام 1920م ولغاية عام 1963م، تح: محمد حسين الزبيدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009م.
4. البحراني، هاشم بن سليمان، مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، ج6، تح: عباد الله الطهراني الميانجي، مؤسسة المعارف الاسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
5. التميمي، محمد علي جعفر، مدينة النجف، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، 1953.
6. حسنات، عبيدة عبد السلام، أثر التخطيط السياحي على التنمية السياحية من وجهة نظر مدراء مكاتب السياحة، دار غيداء للنشر، عمان، 2016م.
7. الحلي، حسين، أصول الفقه، دراسة أعدها العلامة الدكتور محمد بحر العلوم عن حياة الشيخ حسين الحلي، ج1، الطبعة الأولى، 1428هـ.
8. الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، تح: الشويحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.
9. الحلي، حيدر، ديوان السيد حيدر الحلي، ج1، تح: مضر سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، 2017.
10. خالد، حازم، مساجد آل البيت، وكالة الصحافة العربية، مصر، 2017م
11. دباغ، سليمان، الاستراتيجية الأمريكية في العراق والمنطقة، مركز العراق للدراسات، العراق، 2008م.
12. سعد، خليل محمد، الإدارة السياحية، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2017.
13. السيستاني، علي الحسيني، الإمام السيستاني أمة في رجل، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008.
14. الشاهرودي، حسن بن علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، الطبعة الأولى، 1418هـ
15. الشاهرودي، نور الدين، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.
16. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، تهذيب الأحكام، ج1، دار الكتب الإسلامية، إيران، الطبعة الأولى،1390هـ.
17. الطوسي، محمد بن الحسن بن علي، مصباح المجتهد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1991.
18. العاملي، الانتصار، ج9، دار السيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
19. العاملي، محمد بن الحسن الحر، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج27، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، الطبعة الثانية، 1414هـ.

20. الكرباسي، محمد صادق محمد، معجم المصنفات الحسينية دائرة المعارف الحسينية، ج4، المركز الحسيني للدراسات، لندن، المملكة المتحدة، الطبعة الأولى، 2017.
21. الكرباسي، محمد صادق محمد، معجم المقالات الحسينية دائرة المعارف الحسينية، ج5، المركز الحسيني للدراسات، لندن، المملكة المتحدة، الطبعة الأولى، 2017.
22. الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر، تاريخ الخط العربي وآدابه، وكالة الصحافة العربية، مصر، الطبعة الأولى، 2020م.
23. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج98، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983.
24. محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج7، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، 1983.
25. الهندي، علي المتقي بن حسان الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1985.

المصادر العربية باللغة الانكليزية

- The Holy Quran
1. Abu Rayya, Mahmoud, Lights on the Muhammadan Sunnah, Al-A'lami Printing Company, Beirut, Lebanon, first edition, 1996 AD.
2. Al-Amili, al-Intisar, vol. 9, Dar al-Seerah, Beirut, first edition, 1422 AH.
3. Al-Amili, Muhammad ibn al-Hasan al-Hurr, Shia Means to Acquire Sharia Issues, vol. 27, Al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage, Qom, second edition, 1414 AH.
4. Al-Bahrani, Hashim ibn Sulayman, The City of Miracles of the Twelve Imams and Evidence of Proofs for Humanity, Vol. 6, trans. Ibad Allah al-Tahrani al-Mayanji, Islamic Knowledge Foundation, Beirut, first edition, 1415 AH.
5. Al-Bahrani, Ra'uf, Memoirs of Ra'uf al-Bahrani, Glimpses of the Situation in Iraq since the Establishment of National Government in 1920 AD until 1963 AD, trans. Muhammad Husayn al-Zubaidi, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2009 AD.
6. Al-Hilli, Haidar, Diwan of Sayyid Haidar Al-Hilli, Vol. 1, edited by: Mudar Sulaiman Al-Hilli, Al-Haidariyah Press, Najaf Al-Ashraf, first edition, 2017.
7. Al-Hilli, Hussein, Principles of Jurisprudence, a study prepared by the scholar Dr. Muhammad Bahr Al-Ulum on the Life of Sheikh Hussein Al-Hilli, Vol. 1, First Edition, 1428 AH.
8. Al-Hilli, Safi Al-Din, Diwan Safi Al-Din Al-Hilli, Edited by: Al-Shuwaihi, Dar Sadir, Beirut, First Edition, 2000.
9. Al-Hindi, Ali al-Muttaqi bin Hassan al-Din, Kanz al-Ummal fi Sunan al-Aqwal wa al-Af'al, Vol. 1, Al-Risala Foundation, Beirut, Fifth Edition, 1985.
10. Al-Karbasi, Muhammad Sadiq Muhammad, Dictionary of Husayni Articles, Husayni Encyclopedia, Vol. 5, Al-Husayni Center for Studies, London, United Kingdom, First Edition, 2017.

11. Al-Karbasi, Muhammad Sadiq Muhammad, Dictionary of Husayni Works, Husayni Encyclopedia, Vol. 4, Al-Husayni Center for Studies, London, United Kingdom, First Edition, 2017.
12. Al-Kurdi, Muhammad Tahir bin Abdul Qadir, History of Arabic Calligraphy and its Literature, Arab Press Agency, Egypt, First Edition, 2020.
13. Al-Majlisi, Muhammad Baqir, Bihar al-Anwar al-Jami'ah li-Durar Akhbar al-A'immah al-Athar, Vol. 98, Al-Wafa Foundation, Beirut, Lebanon, Second Edition, 1983.
14. Al-Shahroudi, Hassan bin Ali Al-Namazi, Mustadrak Safinat Al-Bihar, Vol. 2, Islamic Publishing Foundation, Qom, First Edition, 1418 AH
15. Al-Shahroudi, Nour Al-Din, History of the Scientific Movement in Karbala, Dar Al-Ulum for Investigation, Printing, Publishing and Distribution, Beirut, First Edition, 1990.
16. Al-Sistani, Ali Al-Hussaini, Imam Al-Sistani is a Nation in a Man, Al-Balagh Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, First Edition, 2008.
17. Al-Tamimi, Muhammad Ali Jaafar, Najaf City, Dar Al-Nashr and Al-Ta'leef Printing House, Najaf Al-Ashraf, First Edition, 1953.
18. Al-Tusi, Abu Jaafar Muhammad bin Al-Hasan bin Ali, Tahdhib Al-Ahkam, Vol. 1, Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah, Iran, First Edition, 1390 AH.
19. Al-Tusi, Muhammad ibn al-Hasan ibn Ali, Misbah al-Mujtahid, Shia Jurisprudence Foundation, Beirut, Lebanon, first edition, 1991.
20. Dabbagh, Suleiman, American Strategy in Iraq and the Region, Iraq Center for Studies, Iraq, 2008.
21. Hasanat, Ubaida Abdul Salam, The Impact of Tourism Planning on Tourism Development from the Point of View of Tourism Office Managers, Ghaida Publishing House, Amman, 2016.
22. Ibn Shu'bah al-Harrani, al-Hasan ibn Ali ibn al-Husayn, Tuhaf al-'Uqul 'an Aal al-Rasul, Islamic Publishing Foundation, Qom, Iran, second edition, 1404 AH.
23. Khaled, Hazem, Mosques of the Household of the Prophet, Arab Press Agency, Egypt, 2017
24. Muhsin al-Amin, A'yan al-Shi'a, Vol. 7, Dar al-Ta'aruf, Beirut, First Edition, 1983.
25. Saad, Khalil Muhammad, Tourism Management, Al-Janadriyah for Publishing and Distribution, Amman, First Edition, 2017.

The holy shrines in Iraq and their role in preserving the heritage of the Imams (peace be upon them) and their impact on Iraqi identity

Assist Lect .Reem Katea atiyah

College of Education

Al-Qadisiyah University

reem.gatea@qu.edu.iq

Keywords: Holy Shrines، Iraqi Identity، Imams، peace be upon them

Summary:

The holy shrines in Iraq are among the most prominent religious and cultural landmarks that hold a special place in the conscience of Muslims، especially the followers of the Ahl al-Bayt school (peace be upon them)، as these shrines embrace the shrines of the pure imams، such as the shrine of Imam Ali (peace be upon him) in Najaf al-Ashraf، the shrines of Imam Hussein and his brother Abbas (peace be upon them) in Karbala، the shrine of Imam al-Kadhim (peace be upon him) in Baghdad، and the shrine of Imam al-Askari (peace be upon him) in Samarra. These shrines play a pivotal role in preserving the Islamic heritage and the heritage of the imams (peace be upon them) through caring for rare manuscripts، libraries rich in heritage sources، and research and study centers that contribute to spreading authentic Islamic thought. The ongoing restoration operations، documenting manuscripts، and establishing museums inside the shrines are part of the tireless efforts to preserve this valuable legacy and ensure its continuity for future generations. In addition، these shrines deeply influence the formation of the Iraqi identity، as they represent a symbol of unity. Religious and national، and contribute to strengthening social and cultural ties between different segments of society، and are major stations in attracting visitors from different countries of the world، which is positively reflected on the economic aspect through religious tourism، in addition to the spiritual impact that these places leave in the souls of believers. Moreover،

major religious occasions contribute to consolidating the collective identity and enhancing the values of solidarity and social cohesion، as millions gather to commemorate the Imams (peace be upon them)، which reflects the deep-rootedness of religious values in the Iraqi social fabric، and thus the holy shrines are not just religious shrines، but rather centers of cultural radiation that preserve identity، protect heritage، and bring Iraqis together under a common banner of faith and ancient history.